

المحاضرة 1: مقاومة الأمير عبد القادر

إقليم الغرب الجزائري قبل مبايعة الأمير عبد القادر:

أحدث القضاء على حكومة الداى حسين في العاصمة فراغا سياسيا في البلاد لم تستطع أية سلطة أخرى أن تملأه، وحاول بعض الزعماء المحليين الطموحين أن يضع لنفسه كتابا ويسيطر على ما أمكنه من الجهات كمصطفى بومزراق والحاج أحمد باي والأمير عبد القادر....، وإن كانت تعكس في نفس الوقت الرغبة في التصدي للاحتلال وإبعاد خطره على البلاد. فبعد أن بسط الفرنسيون نفوذهم على مدينة الجزائر تطلعوا للتوسع على حساب المناطق المحاذية، ففي نفس الوقت الذي حاولت بسط نفوذها على منطقة متيجة، اتجهت القوات الفرنسية إلى وهران التي تعتبر من المواقع الإستراتيجية التي سعت فرنسا لفرض سيطرتها عليها لما لها من أهمية في توسع الأخيرة في الغرب، إلا أنه لم يكن يسيرا ، حيث كان من أكثر الأقاليم تعقيدا.

وقد عرف هذا الإقليم قبل التواجد الفرنسي صراعا بين السلطة المركزية (الباي) والطرق الصوفية هناك؛ كالقادرية والدراوية والتيجانية، لذلك فإن السكان قد رفضوا إيواء ممثل السلطة القديمة حسن باي (1827-1831) أو دعمه، خاصة أنه كان يفتقد للقوة العددية الكافية لمواجهة الفرنسيين، وهي من الأسباب الرئيسية في سرعة سقوط مدينة وهران، فبعد سقوط مرسى الكبير (4جانفي1831) حاول حسن باي البقاء كباي على وهران فاقترح على الضابط الفرنسي أن يدفع ضريبة لفرنسا مقابل الاحتفاظ بمنصبه، وانتهى به الأمر بالتخلي عن البايلك في 7جانفي من نفس السنة ليرحل بعدها إلى الإسكندرية.

وباختيار الحكم العثماني في المنطقة الغربية عمت الفوضى واختل الأمن، حيث شرعت القوات الفرنسية المتحصنة بمدينة وهران بالإغارة على السكان المقيمين بجوارها وتقتيلهم وسلب أرزاقهم،فانتشرت حالة من الخوف وعدم الاطمئنان والشعور بالخطر، فتبلور لدى السكان احساس عام بضرورة علاج الوضع والتصدي لهذا الخطر قبل فوات الأوان، والبحث عن سلطة تضع حدا لهذه الفوضى وتعبئة القبائل لمجابهة والتصدي للعدو والأجنبي إلى جانب أهداف تونس والمغرب التوسعية.

فسعى الحضر من سكان تلمسان إلى طلب النجدة من السلطان المغربي (عبد الرحمان بن هشام) للحد من خطر الذي داهمهم، ويهدد بلادهم، كما عرضوا أن يبائعوه سلطانا عليهم إذا مد يد المساعدة لهم ضد فرنسا، وقد وجد هذا الطلب هوًا في نفسه وحلما كان يطمح لتنفيذه لتوسيع

سلطته ومملكته، فأرسل من ينوب عنه في ذلك (نوفمبر 1830) مدعماً بقوة عسكرية إلى تلمسان، ورغب في توسيع نفوذه إلى الناحية الشرقية إلى ما وراء الأضواء. الأمر الذي جعل الفرنسيين يشعرون بالخطر الذي يهدد مصالحهم ونفوذهم، فلجئوا إلى الضغط على المغرب دبلوماسياً وعسكرياً بأن أرسلت سفينتين حربيتين إلى سواحل مدينة طنجة. مما اضطر السلطان المغربي على الانسحاب . بدوره كان الجنرال كلوزال قد حاول عقد اتفاق مع باي تونس في شكل صفقة (4 فيفري 1831) ببيع إقليم الغرب والشرق لباي تونس مقابل دفع ضريبة سنوية، لكن عدم موافقة المتربول حال دون اتمام الصفقة.

وتطلع أهالي المنطقة الوهرانية إلى زعمائهم الدينيين من شيوخ الطرق الصوفية ليقودوهم برفع راية الجهاد والمقاومة ضد الفرنسيين المحتلين، وكان الشيخ محي الدين بن مصطفى أحد هؤلاء الزعماء الدينيين في منطقة معسكر، وكان قبل الغزو الفرنسي يكافح طغيان الحكام الأتراك وتعسفهم، حتى أن الباشا العثماني أصدر قراراً بنفيه إلى وهران عام 1825 ومنعه من أداء فريضة الحج خلال نفس السنة، ولم يؤديها إلا بعد من ذلك بمعية ابنه عبد القادر. ويعتبر الشيخ محي الدين من شيوخ الطريقة الصوفية القادرية حظي بأتباع شاركوه مقاومة فرنسا وجنرالاتها في الناحية الغربية من البلاد. وقد حقق خلالها العديد من الانتصارات هامة، خاصة في معركة خنق النطاح الأولى (4 ماي 1832) والثانية (4 جوان 1832) ومعركة برج رأس العيون بوهران وقد شاركه فيها الأمير عبد القادر في الصفوف الأولى حاملاً الراية. واستطاعوا خلالها وقطع طرق المواصلات على الجنرال بويه الذي حاول التوسع في المنطقة.

والمميز في مقاومة الشيخ محي الدين في هذه المرحلة:

-انعدام التنظيم والتدريب.

-الانقسام والتنافس بين زعماء القبائل على الزعامة.

-اعتماده بالدرجة الأولى على المتطوعين.

-مبايعة الأمير عبد القادر:

هو الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسيني (1808-1883) يرجع نسبه إلى آل البيت سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم. المولود في قرية قيطنة من منطقة غريس من الناحية الغربية من الجزائر (معسكر) وهو ابن الرابع لمحي الدين، وقبل أن يتولى قيادة الإقليم كان قد زار برفقة أبيه الديار المقدسة (1826) ومصر والعراق والشام ولما عاد من رحلته وجد الفرنسيين قد احتلوا مدنتي الجزائر ووهران.

وكان والده محي الدين يتمتع بمكانة عظيمة بين السكان، فطلبوا منه بعد رجوعه أن يتولى قيادتهم في حرب الفرنسيين، وقد قادهم إلى جانب ابنه عبد القادر كما سبق الذكر، ولما كان الشيخ محي الدين متقدما في السن، فإنه رفض أن يتحمل عبء المقاومة ومواصلة الجهاد بقيادته، فاقترح ابنه الشاب عبد القادر، وقام زعماء قبائل غريس وغيرها من منطقة مدينة معسكر بمبايعته على السمع والطاعة في اليسر والعسر وعلى بذل أنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل إعلاء كلمة الله والإسلام والوطن بتاريخ 3 رجب 1248 الموافق 27 نوفمبر 1832، ولم يكن عمره آنذاك يزيد على الرابعة والعشرون سنة، لصفات الشجاعة والحماسة التي اجتمعت فيه وكانت هذه مبايعة خاصة من الأقارب والأشرف والعلماء والأعيان وأولى المبايعين له والده، ولقب حينها بناصر الدين. ثم تم إرسال الوفود والبعثات والرسائل إلى مختلف الأقاليم، أين تمت خلالها المبايعة العامة؛ حيث بايعته القبائل الواقع من العطاف وجبال الونشريس شرقا إلى الحدود المغربية غربا.

- جهود الأمير بعد المبايعة:

انكب الأمير عبد القادر منذ مبايعته على تنظيم دولته الكفاح في آن واحد:

أ- تنظيم الدولة:

مهد الأمير عبد القادر في مقاومته لفرنسا بتشكيل النواة الأولى للدولة الجزائرية العصرية تكون مواكبة لأحداث الفترة، والتي تقوم على تأسيس سلطة جزائرية موحدة، فاتصل برؤساء القبائل وإخضاعها له، وتطلب ذلك جهد كبيرا لأن أكثر القبائل كانت اعتادت حياة الاستقلال ولم تألف الخضوع لسلطة مركزية قوية، واعتمد في ذلك على الوازع الديني، فانقادت بعض القبائل اقتناعا وتحالفا، وبعضها الآخر بالقوة، ما عدا باي قسنطينة الذي كان يعتقد أن بإمكانه القضاء على الفرنسيين لوحده.

وقد شهدت الفترة الممتدة ما بين (1837-1839) بلوغ دولة الأمير أوج قوتها واتساعها فشمّل المنطقة الغربية ما عدا وهران ومستغانم وكل المنطقة الوسطى حتى جرجرة أما في الشرق فقد شمل حكمه جنوب إقليم قسنطينة منطقتي الأوراس والزيبان. وقد قسمها إلى ثماني مقاطعات إدارية على رأس كل مقاطعة موظف يسمى الخليفة ونائبا له. وكل مقاطعة مقسمة إلى وحدات إدارية تسمى أغاليك وعلى رأس كل اغليك آغا.

وقد خالف الأمير عبد القادر في نظامه أشكال دولة دكتاتورية وبنى دولته على أسس جديدة، وكان نظام دولته الأمير نظاماً مركزياً يخضع إلى سلطة عليا موحدة هي الأمير الذي يشرف على تعيين الخلفاء والأغوات وحتى القيادة... ومجلس الشورى مركزي، الذي يتألف من الوزير أو الخوجة الكبير ومن النظراء والكتاب، وكان الوزير يوازي في منصبه رئيس مجلس الوزراء وفي النظم الحديثة أما النظراء فهم الوزراء بالمصطلح العصري. ومجلس شورى للمقاطعة فكان يتألف من احد عشرة عضواً من أجله العلماء، وأسند للأمير رئاسته إلى قاضي القضاة العلامة أحمد بن الهاشمي المراهي. ومهمة هذه المجالس استشارية أكثر منها تشريعية، وتعتمد كل المجالس على الشريعة الإسلامية.

وقد دعم الأمير عبد القادر دولته بأن أنشأ لها جيشاً واتخذ له عاصمة متنقلة تدعى الزمالة تتلائم مع ظروف الجهاد وأسس عدة معامل لصنع السلاح والذخيرة، بحيث أن الأمير حصر أسباب فشل المقاومات السابقة في اعتمادها على المتطوعين، كما كانت لدولته راية، وضرب السكة، وعين الولاة وأسس بيت مال المسلمين وجعل الشريعة الإسلامية هي القانون الأساسي لدولته، وأنشأ مكتبة وطنية.

وأقام علاقات دبلوماسية مع الدولة العثمانية وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

ب/مقاومته لفرنسا:

مرت مقاومة الأمير عبد القادر للفرنسيين بثلاث مراحل :

-المرحلة الأولى (1832-1837):

حرص الأمير عبد القادر خلال هذه المرحلة على يبني أسس الأولى لدولته لتكون انطلاقة قوية في مواجهة فرنسا فوضع جملة تدابير:

- اتخاذ معسكر عاصمة لدولته بكونها المنطلق في الجهاد المنظم.
- تشكيل حكومة لدولته الفتية.
- توحيد القبائل حول مبدأ الجهاد تحت سلطته، وانتزع من الفرنسيين عدداً من القبائل وألزمها بالتشبث بأرضها، فيما اعتبر المتعاونين مع فرنسا مرتدين عن الدين.

وقد بذل الأمير خلال هذه المرحلة جهوداً معتبرة لقطع الطريق على الفرنسيين خطوط التموين إلى مراكزهم بوهران، كما استولى على ميناء ارزيو الساحلي ليتمكن عبره من الاتصال بالعالم الخارجي لكسب التأييد، وتوريد السلاح والمؤن إن احتاج الأمر لذلك، فتجنب لهذا الأمر الجنرال دي ميشل

حاكم وهران الفرنسي مواجهة الأمير عبد القادر في معارك نظامية طاحنة غير مأمونة العواقب، خاصة بعد أن واجهته مشكلة صعوبة تموين قواته بالأغذية والمؤن لأن الأمير نجح في إقناع القبائل بقطع صلتهم بالفرنسيين وأنذر كل من يتعاون مع الأعداء بالعقاب، وصادر فتوى عن كبار العلماء تعتبر كل من يتعاون مع الأعداء أو يقدم لهم مساعدة مهما كان نوعها متنصرا مرتدا عن دينه.

ونتيجة لنجاح سياسية المقاطعة هذه فضل دي ميشال أن يسلك طريق اللين والمفاوضة مع الأمير خاصة بعد وقوع ضابط وأربعة جنود في قبضة الأمير كأسرى فأرسل دي ميشال حاكم وهران رسائل عديدة للأمير لكنه تجاهلها، وقد أثبت الأمير بهذا في المراسلات أنه يؤكد لفرنسا على الاعتراف به كخصم شرعي والاعتراف به كصاحب نفوذ وقوة يمثل كسلطة فعلية عن الجزائر، وقد فضت هذه الاتصالات بتوقيع معاهدة دي ميشال يوم 26 فيفري 1834 وأهم ما جاء فيها:

-وقف القتال بين الطرفين

- تبادل الأسرى بين الطرفين.

-حرية التجارة.

-اعتراف دي ميشال بإمارة الأمير على كامل البلاد في المقابل إقراره لفرنسا على المدن التالية:

الجزائر، وهران أرزيو ومستغانم.

تعيين وكلاء عن الأمير عبد القادر في المدن التي فرض الفرنسيون عليها سيطرتهم.

-إلتزام الطرفين بتسليم الفارين إلى الطرف الآخر.

وخلال هذه الهدنة تمكن الأمير من تقوية دولته بتوسيع نفوذه بأن أدخل كثير من القبائل تحت سيطرته، فتوغل في إقليم تيطري واستولى على المدينة 1935 ومليانة، وواحة بسكرة. وتشيد الحصون وإقامة القلاع وصناعة السلاح وإنتاج الذخيرة الحربية وتنظيم وتوحيد الصفوف. كما استغل الأمير هذه المرحلة بربط علاقات مع بعض الشركات الانجليزية واليهودية، حيث كان يصدر منتجات كثيرة كالحبوب والصوف والزيوت والجلود، مقابل استيراد مواد أخرى كالسكر والقهوة..

لكن على المستوى الفرنسي أثارت هذه الهدنة مخاوف فرنسا التي عبر عنها بايرون الحاكم العام خاصة بعد توسع الأمير، وكاد أن يصل الأمر إلى فتنة وضجة، انتهت المسألة بإقالة دي ميشال وعين بدله تريزيل Trezel في 15 جانفي 1935 الذي قرر نقض الهدنة ومعاهدة دي ميشال بضمه لقبائل الدوائر والزمالة لصالحه، بأن أصبحت تدفع الإتاوة لإدارة الفرنسية وهو ما رفضه الأمير وانتهى بمعركتين عظيمتين بين الطرفين الأولى معركة سيق في 26 جوان 1835 ومعركة المقطع في 28

جوان من نفس السنة التي هزم فيها الجيش الفرنسي بقيادة تريزيل وانسحابه ثم إقالته وإقالة الحاكم العام ديرلون.

وتم تعيين كلوزيل المعروف بسياسة الاحتلال الكامل للجزائر وحاول أن يضرب الأمير بإضعاف عاصمة، وسار بنفسه إلى معسكر عاصمة الأمير 1835. وتفطن الأمير للأمر فتنقل خارج العاصمة وأخلاها من سكانها، وعند وصول كلوزيل قام بعمليات النهب والسلب، وحاول أن يشعل فيها النار كما اتلف كل معالمها وآثارها علمية والإنسانية بما في ذلك مكتبته، وقد راقب الأمير سياسية كلوزيل الذي أفقده العديد من المدن وتأييد القبائل فوجد أنه كان يخلي المدن ثم يتركها ويخضع القبائل لسيطرته ثم سرعان ما يتخلى عنهم. فحاصر الأمير مدينة تلمسان حصاراً شديداً وأعاد خلال تلك الفترة الزمنية ب إخضاع القبائل الجنوبية التي خرجت عن طاعته وألحق بالفرنسيين هزيمة كبيرة عند مصب نهر تافنة وقطع عنهم المواصلات البرية، مما اضطر كلوزيل إلى طلب النجدة بفرنسا لفك الحصار فأرسل له بيجو (1836) واستخدم نهر تافنة كطريق بحري لإرسال المؤن للحامية المحاصرة. واستطاع بيجو أيضاً بعد اعتماده على الطواير الخفيفة والسريعة في ملاحقة الأمير وألحق به هزيمة في معركة وادي السكاك (جويلية 1836) وفك الحصار عن حامية كلوزيل بعد معركة تافنة. وفي ظل هذه المستجدات بدأت فرنسا تلح على الأمير من أجل عقد صلح ثاني وكلفت بيجو بالتفاوض معه (23 ماي 1836)

- المرحلة الثانية: (1837-1839): وهي مرحلة تنظيم الدولة

نظراً لتضرر الأهالي من الحرب قبل الأمير الهدنة وعقد معاهدة تافنة 30 ماي 1839، ومما جاء فيها:

- أن يعترف الأمير بالسلطة الفرنسية على مدينتي الجزائر ووهران.
- تحتفظ فرنسا كذلك بالمناطق المجاورة للمدينتين.
- تعترف فرنسا بإمارة الأمير على إقليم وهران وإقليم تيطري، والقسم الذي لم يدخل تحت نفوذ فرنسا في إقليم الجزائر من الناحية الشرقية.
- يدفع الأمير للفرنسيين مقداراً من الحبوب ومحدد من الأبقار من مدينة وهران على مراحل ثلاث.

- يمكن للأمير أن يشتري ما يحتاجه من الأسلحة والذخائر كالبارود والكبريت من فرنسا.
- تتخلى فرنسا عن تلمسان قلعة المشور مع المدفعية القديمة التي كانت بها قديماً وعن مرسى

رشقون (عين تموشنت) للأمير.

- مبدأ حرية التجارة بين الطرفين.

- تبادل المجرمين بين الطرفين.

- حق كل طرف في تعيين ممثلين عنه في مدن الآخر لمتابعة مصالح الناس التابعين.

واستغل الفرنسيون هذه المرحلة في القضاء على المقاومة أحمد باي بعد أن تفرغوا لقسنطينة واحتلالها بسطوا نفوذهم على مدينة جيجل وسكيكدة. وكان في إحجام الأمير والحاج أحمد عن تنسيق الجهود بعد رفض الأخير الخضوع تحت جناح الأمير، فكان ذلك من الأسباب القوية التي سرعت في سقوط المدينة. وكان في سقوط الحاج أحمد وانسحابه إلى الصحراء من جهة أخرى أن أكسب الأمير مزيدا من الهيبة.

بينما جعل الأمير المرحلة لبسط نفوذ على أجزاء أخرى من الشرق الجزائري وقضى على منافسه كمحمد التيجاني في عين ماضي، وتأديب القبائل التي امتنعت عن دفع الزكاة في الأغواط، اهتم بالجيش من حيث التدريب وسلاح، وتحصين دولته بالحصون والقلاع وقسم دولته إلى ثماني⁽¹⁾. عملات على رأس كل منها نائب، وأسس مجلسا لشورى، كما اهتم في فترة الهدنة بطبقة الفلاحين وبتعليم الأهالي. وإقامة علاقات دبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا.

- المرحلة الثالثة 1839-1848: وهي مرحلة الضعف

حاول الأمير الاستفادة من سقوط قسنطينة بتوسيع حدود دولته (من بلاد القبائل حتى شرقي مدينة سطيف وسيطر على معظم واحات الصحراء من البيض إلى بسكرة) فقطع بذلك طريق الاتصال على فرنسا بين قسنطينة والجزائر. وما جعل العلاقة تتوتر بين الطرفين بعد آخر معاهدة هدنة وتجددت الحرب بينهما، حقق فيها الأمير انتصارات هامة جعلته في مركز قوة، وهو ما جعل فرنسا تستنفر ورغم بعض الأصوات التي طالبت بالاحتلال المحدود أو الانسحاب التام من الجزائر، إلا أن تصميم وزير الأول (تيير) جعله يعزل الجنرال فالي ويعين الجنرال بيجو كحاكم عام (1841 - 1848) الذي شرع في تطبيق سياسة القهر والعنف نحو الجزائريين، وحرب الإبادة ضد المقاومة الممثلة في الأمير عبد القادر، وقد سمح بحرق وإتلاف المزارع وطرده المعارضين إلى المناطق البعيدة خارج الجزائر، كما اتسمت سياسته بتسليط العقوبة الجماعية. أما فيما يتعلق بالسياسة العسكرية فقد سمح باستعمال كل الوسائل الممكنة للقضاء على المقاومة، واستطاع بيجو أن يحتل أغلب المدن التي كانت

(1) _ من هذه العمالات أو المقاطعات نذكر: معسكر، تلمسان، مليانة، تيطري، مجانة، الزيان والصحراء الشرقية، برج حمزة (مقاطعة الجبال)، الصحراء الغربية.

تحت سلطة الأمير أهمها تاقدمت العاصمة الجديدة للأمير ومعسكر و شارشال...حتى ظل هذا الأخير لاجئ متنقل بالزماله، وقد وقعت هذه الأخيرة فيما بعد في أيدي العدو الفرنسي، واستولى عليها الدوق دومال لسنة 1843، وقد نتج عن هذا اتجاه الأمير عبد القادر إلى المغرب للتخفي، لكن فرنسا مارست على المغرب سياسة الضغط بالتهديد والعمليات العسكرية (معركة إيزلي) 1844 انهمز فيها الجيش المغربي، فرفض السلطان المغربي حمايته الأمير وبذلك توحدت جهود بيجو و سلطان مغرب فأصبح الأمير بين كفي كماشة، وتحت هذا الضغط دخل الأمير ومن معه إلى الجزائر ولم يبق أمامه إلا الاستسلام وفي 21 ديسمبر 1848 إلى لامور سير حاكم المنطقة الغربية، بشروط منها الأمان واختيار أماكن مناهم، ظل الأمير مسجوناً لمدة 5 سنوات. وبعد إطلاق سراحه 2 ديسمبر 1852 بعد وساطة نابليون بعد وعد بعدم التعرض لفرنسا، أبحه إلى دمشق وظل بها حتى توفي 1883 (معلماً وكاتباً ومجتهداً).

تقيم فشل مقاومة الأمير عبد القادر: يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- 1- بعد الإستلاء على قسنطينة تفرغت فرنسا لناحية الغربية وأفردتها بالقوة للاستيلاء عليها.
- 2- تشتت قوة الأمير على محاور مختلفة فرنسا من الجهة الشرقية ومولاي عبد الرحمان سلطان المغرب من الناحية الغربية وصخور داخلي كان نتيجة اتصال فرنسا ببعض رؤساء القبائل والعشائر وكسبهم لصفها، ومن ذلك خيانة عمر العيادي الذي سلم بيت المال ودخائر الأمير لفرنسا مما أضعف قوته في وقت نفسه كانت فرنسا تصلها الإمدادات بأسلحة المتطورة فكان اختلال تكافؤ القوى جعل الفوز أمر مستحيل.
- 3- سياسة فرنسا الممثلة في بيجو الذي اتبع سياسة الأرض المحروقة المتمثلة في الاستيلاء على الأراضي والممتلكات وإحراقها.
- 4- عدم توحيد الصفوف في مواجهة العدو وأثبت الوثائق عن المراسلات التي توسط فيها بعض الأعيان في بدايات الاحتلال ثم بعد ذلك سنة 1839 إلا أن أحمد باي رفض الانضواء تحت لوائه.

المحاضرة 2: ثورة المقراني والحداد (1871-1872)

-أوضاع الجزائر العامة قبل الثورة: عاشت الجزائر أواخر الستينات أوضاعا شاذة في الميادين

السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والعسكرية نوجزها في الآتي:

1-قيام الجمهورية الفرنسية الثانية بعمليات تهجير واسعة للأوروبيين (فرنسا، وأوربا) إلى الجزائر من أجل التوطين والتوسع الاستعماري، وصاحب هذه العملية، مصادرة أملاك الجزائريين من أراضي عقارات ومواشي وتمليكها للمهاجرين الأوروبيين فبموجب قانون 15 سبتمبر 1870 تم توزيع الأراضي على خاصة من النازحين من الأتراس واللوران بعد استيلاء الألمان عليهما. وكانوا من المحكوم عليهم في قضايا (سوابق عدلية) جيء بهم إلى الجزائر للتخلص من مشاكلهم في فرنسا واستغلالهم لتوسيع تعداد المستوطنين وقد نتج عن ذلك بؤس وحرمان بين الجزائريين.

2-استمرار الثورات في مختلف المناطق في البلاد، كفرجيوة (بوعكاز)، وأولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري والتي امتدت إلى منطقة الحضنة، جعل بعض المعمرين.

3-تعاقب على الجزائر سنوات من الكوارث الطبيعية (الجفاف والجراد والأمراض والأوبئة) التي خلفت مجاعة حادة وأزمة اقتصادية واجتماعية حتى أصبحت تلك الأيام تنعت "أيام الشر" زادت من معاناة الجزائريين.

4-مصادرة أراضي الجزائريين خاصة خلال العشرية الأخيرة (1860-1870) من خدمة المقراني كباشاغا، حيث خسر الفلاحون الجزائريون أملاكهم، كما تم حجزها لعدم قدرتهم تسديد الديون اتجاه المضاربين اليهود والأوربيين.

5- تحطيم فرنسا لنفوذ الأسر والعائلات الجزائرية الكبيرة ذات السمعة والمكانة في البلاد بعد أن نالت أغراضها قلمت أظافرها مثل ما فعلت مع المقراني الذي كان قد عُين باشاغا خلفا لوالده، لكن فرنسا ضيقت عليه أشد التضييق حتى اقتصر على عضو بسيط في مجلس البلدي لا يسمع له رأي.

6- مضايقات طويلة التي تعرض لها باشاغا مدة سبعة عشر سنة مادية ومعنوية، فالمادية سبب الديون التي أرهقتة، وكان الحاكم العام مكماهون قد شجعه علي استدانتها لمساعدة الفلاحين

الجزائريين بعد الأزمة الاقتصادية عقب الكوارث الطبيعية وتحديد سلطته ونفوذه وإخضاعه لسلطة ضباط صغار.

الأسباب القريبة لإعلان الثورة:

- حادثة 1871 التي مست العمال الجزائريين من منطقة البرج الذين كانوا يعملون إلى جانب المستوطنين في مشروع مد طريق بين الجزائر وقسنطينة، فميزت بينهم وبين المستوطنين من حيث الأجر والأشغال، وانتهى الأمر بطردهم عقب مقتل أربع مستوطنين واضطر الباشاغا المقراني أن يدفع من ماله الخاص لنقلهم ومتاعهم، وهو ما حز في نفسه.

- نفوذ اليهود الذي تحدوا الجزائريين خاصة دعوات وزير العدل اليهودي كرميو، وهو ما أثار المقراني ورد عليه المقراني بمقولته الشهيرة «إنني مستعد أن أضع رقبتني تحت السيف ليقطع رأسي، ولكن لا أطيع أبداً أحد من غير الجنود ولا أقبل أن أخضع لحكومة من التجار واليهود: فكانت هذه الأسباب من أهم عوامل التي جعلت المقراني يعلن الحرب والثور على فرنسا خاصة نظامها المدني.

- دور محي الدين بن الأمير عبد القادر (الإبن)، في تشجيع الجزائريين على الثورة، خاصة في الفترة التي انشغلت فيه فرنسا بمواجهة بروسيا، ومبادرته بالدخول من تونس إلى الجزائر واستقرت بتقوت ووسع نفوذه إلى تبسة. إلا أن يبجو أجبره على الانسحاب نحو الجنوب ثم إلى تونس فصيادا. وقد بلغت أثر هذه الدعوات المقراني.

- انطلاق الثورة:

قبل الإعلان عن الثورة اتصل المقراني² بالشيخ حداد³ شيخ الطريقة الرحمانية، وقسم عقد مجلس حرب بينهما في 14 مارس 1871، لكن إرهابات الثورة كانت قبل ذلك منذ شهر جانفي بقيام بعض المجندين الجزائريين بالتمرد في بلدة مجر وفي الطارف وبوحجار وعين قطار قرب سوق أهراس، الذين رفضوا الذهاب إلى فرنسا وأوروبا للحرب في معاركه، بالإضافة إلى ثورات جانبية في تبسة وضواحيها والواحات الصحراوية وهي بواد لثورة الكبرى التي قادها المقراني.

² تعود عائلة المقراني في نسبها إلى عائلة شريفة ترجع إلى فاطمة الزهراء، كما تذهب إليه الإلى عائلة شريفة منبعها، استقرت في بلاد القبائل.

لعبت هذه العائلة دورا كبيرا في تحرير وهران من الاسبان في العهد العثماني (1563) مما جعل العثمانيون يدعمونها ماديا وعسكريا فأصبحت من أصحاب النفوذ في منطقة الوسط وحافظت على هذه المكانة حتى تاريخ الاحتلال الفرنسي.

ينتمي الشيخ الداد إلى عائلة صدوق العليا بشرق البلاد، خلف والد في المدرسة القرآنية ووسعها بحث بنى مسجدا، وأصبح يشرف على الطريقة الرحمانية وينفق عليها من ماله وأمواله.³

وقبل اعلانه الثورة طلب الباشاغا المقراني من السلطات الفرنسية أن تقبل استقالته من منصبه كباشاغا، لكنها تجاهلته، وهو ما اعتبره المقراني تحديا له، وأعلن عن حمل السلاح، ففي 8 أفريل أعلن الشيخ الحداد في ساحة صندوق الكبرى في القبائل الصغرى الجهاد، في الوقت الذي كان فيه مقدمو الطريق الرحمانية ينتقلون نداء الجهاد من قبيلة لأخرى كان المقراني يتصل برؤساء القبائل ويقوم بتوزيع الأدوار على مساعدة خاصة أخوه بومرزاق وعزيز بن شيخ الحداد. وخلال هذه الثورة دارت أكثر من 100 معركة شملت منطقة واسعة امتدت من برج بوعريج إلى سوق أهراس شرقا وامتدت من ناحية الغربية إلى نواحي مدينة الجزائر، كما شملت كل المنطقة الشمالية بجاية وتيزوزو وكانت آخر معركة للمقراني يوم 5 ماي 1871 بعد أن أصيب واستشهد في معركة وادي سوفلات قرب عين بسام دفنه بقلعة بني عباس وتولى القيادة بعد ذلك أخوه بومرزاق الذي استمر في محاربة الفرنسيين إلى غاية شهر جانفي 1872 إلا أنه ارتكب خطأين استراتيجيين هما:

- مد ثورته عبر الصحراء وهو خطأ فادح لقلّة السكان والعتاد والماء ومنطقة مكشوفة.
- هجوم مباشر على الفرنسيين.

فاشند عليه الخناق وأراد أن يتوجه إلى الحدود التونسية ليعيد القوة والنشاط لثورته إلا أنه أثناء مروره بالصحراء أغمي عليه قرب مدينة ورقلة، وألقى عليه القبض من طرف الجيش الفرنسي ومحاكمته ونفيه إلى كاليفورنيا مع مشاركته

نتائج الثورة كانت قاسية عممتها فرنسا كل القبائل التي شاركت أو ساندت أو حتى التي تعاطفت من الثورة.

- صدور 6 آلاف حكم بالإعدام.
- إجبار عدد كبير من الأهالي إلى الهجرة إلى المناطق الجبلية وخارج سوريا.
- استشهاد حوالي 100 ألف شهيد.
- أحكام جماعية على كل خسارة التي لحقت بفرنسا وقدرة بـ 50 مليون فرنك فرنسي، ففرضت على الأهالي غرامات نقدية (140 فرنك على كل من تجند وقدم المساعدة للثورة 210 فرنك ضريبة على كل من شارك فيها) وثم الاستيلاء على الأراضي ونزع الممتلكات والعقارات.
- مصادرة الأراضي وتوزيعها على المعمرين آتين من الألزاس واللوران.
- نفي عائلة المقراني بما في ذلك زوجة وابنة المقراني وبومرزاق (بعد الحكم بالإعدام عليه وخفف إلى النفي) وابنته والمتعاطفين معه، بينما الشيخ الحداد حكم عليه بخمس سنوات إلا أنه لكبر سنه

توفي بعد 10 أيام.

-إصدار مرسوم 24 أكتوبر 1870 الذي ينص على

1-إلغاء النظام العسكري و تعويضه بالنظام المدني.

2-إلغاء المكاتب العربية التي كان يرأسها الضباط الفرنسيون.

3-منح الجنسية الفرنسية لليهود الجزائر بصورة جماعية (قانون كريميو).

المحاضرة 3: ثورة بوعمامة (1881-1905):

أصول العائلة:

تنسب هذه الثورة إلى محمد بن العربي بن إبراهيم (1840-1908)، والذي ينتسب إلى الشيخ عبد القادر المعروف بأولاد سيدي الشيخ، وقد لازمته تسمية بوعمامة وأشتهر بها للعمامة التي كان يضعها على رأسه، وأما عائلته فهي عائلة عريقة يرجع نسبها إلى الخليفة أبي بكر الصديق، وقد هاجرت هذه العائلة من المدينة إلى مصر ثم باتجاه شمال إفريقيا واستقروا بين المغرب والجزائر في البيض سيدي الشيخ.

وفي القرن 16 انقسم أولاد سيدي إلى فرعين فرع أولاد سيدي الشراقة، وفرع ثاني الغراب، وبعد معاهدة لالة مغنية 1845/8/23 كرس الفرنسيون التقسيم بين الفرعين، فأصبح أولاد سيدي شيخ الشراقة تحت السيطرة الفرنسية والذين استقروا في الأبيض أولاد سيدي الشيخ (بيض أو البيوض) بينما الغراب تحت سيطرة المغرب.

حرص الفرنسيون بعد احتلال المنطقة سنة 1845 وإنشاء أول مركز في المنطقة (1853) في البيض (جيري فيل) على الاستعانة بأولاد سيدي الشيخ في تسير شؤون الجنوب الغربي بتعين سي حمزة في منصب خليفة إلى غاية 1861 وتداولت عائلته من بعده على هذا المنصب لكن برتبة أقل وهي باش آغا، وقد شهدت المرحلة الممتدة بين (1869-1876) توتر العلاقة وإعلان قدور بن حمزة الثورة على الفرنسيين إلا أنها فترت بسبب خلافات بين الثوار.

-أسباب الثورة:

- 1- استمرار السياسة الاستعمارية بقوانينها الاستثنائية، وعزل العائلات الكبرى.
- 2- المبالغة في التفريق بين أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغراب.
- 3- الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عانى خلالها الجزائريون وسكان المنطقة من المجاعة، وتوغل المستوطنون في الجنوب الغربي، وتشكيل مراكز إستطانية خاصة في مشرية، وعين الصفرة....
- 4- استغلال سحب القوات الفرنسية من الجنوب الوهراني إلى تونس 1881.
- 5- أثر دعوات الأفغاني داعية للتوحيد في مواجهة الكافر الأجنبي (الجامعة الإسلامية).
- 6- نشاط الحركة السنوسية في الصحراء عموما، إلى جانب إحياء روح المقاومة عبر الجزائر التي لم تنقطع فيها المقاومات.

-انطلاق الثورة:

قبل انتفاضة بوعمامة 1881 كان أولاد سيدي الشيخ قد قاموا بثورة امتدت (1864-

1881) وكان الشيخ بوعمامة قد أسس زاوية مغرار سنة 1878 على الطريقة الشيخية الذي أصبح أحد شيوخها، وعمل على نشرها بين السكان حيث كثر أتباعه بحث أصبح يشكل قوة فعلية في المنطقة. ومنذ ذلك بدأ يدبر العمل المسلح وبدأت شهرته في الهضاب العليا الوهرانية يتسع لذلك فقد راقبته السلطات الفرنسية كما راقبت معاونيه الذين كانوا يقومون بالدعاية له والتحريض بالانتفاضة، وقد انطلقت هذه الأخير قبل الوقت المحدد لها وذلك بعد أن شرع معاونيه مع الاستعمار مختلف الجواسيس بتزويد القوات الفرنسية بالمعلومات عن رجال المقاومة وقد بدأت الثورة يوم 22 أبريل 1881 عندما اغتيل رئيس المكتب العربي في البيض الملازم واينبرنر weinrener عندما كان يحاول القبض على رسل بوعمامة الذين أخذ عددهم يتزايد ونتج عن ذلك قيام حركة عصيان واسعة وكانت معركة تازينة التي هزم فيها الكولونيل إيتوسونتي Inocenti من أشد المعارك على الفرنسيين وأمام سمعة بوعمامة المتزايدة وانتشار رقعة الانتفاضة واستعملت فرنسا الحرب النفسية مع المجاهدين بالاعتماد على بعض الموظفين الرسميين بإصدار الفتاوى ضد بوعمامة ورجاله بهدف أبعاد الناس عندهم، ثم عمدت في نهاية إلى استعمال أقصى أنواع العنف وذلك بضرب إحدى أهم رموز أولاد سيدي الشيخ وهو نسف قبة أولاد سيدي الشيخ الذي كان تحتل مكانا بارزا عند هؤلاء (وقد قام بهذا العمل أحد قواد الفرنسيين وهو الكولونال نيقري Négrier) وعلى الرغم من ذلك فإن القوات الفرنسية لم تستطع القبض على بوعمامة الذي انسحب نحو الجنوب واستمر يقاوم إلى غاية 1904، وقد نتج عن فشل إنتفاضة أولاء سيدي شيخ مايلي:

- تقتيل الأهالي تسليط عقوبات على السكان، والاعتداء على مقدساتهم ، باقداً نيقريه بتفجير قبة سيدي الشيخ كلية ونش قبره. وتدمير قصري بوعمامة وزاويته
- مصادر أراضي العائلات التي ساندت الثورة.
- إبعاد القواد والمسؤولين عن الثورة إلى الخارج.
- إعادة تقسيم المنطقة إداريا لتسهيل السيطرة عليها ومنح المسؤوليات للذين تعاونوا مع السلطات الفرنسية.

معاقبة القبائل التي ساندت بوعمامة بنفي قبائل بأكملها، كقبائل العمور من عين الصفراء إلى أفلو، والإقامة الجبرية على أولاد سيدي ناصر بولاية تيارت، ونفي آخرين إلى مناطق داخلية وخارج الوطن (جزيرة سان مارغريت وكلدونيا)

-محاولة جر البعض من أولاد سيدي شيخ إلى جانب الفرنسيين ومواصلة احتلال كل الجنوب

خصائص الثورات المشتركة:

- 1- يفوقها مرابط له سلطة دينية وسياسية.
- 2- كل الثورات فشلت في تحقيق هدفها القضاء على فرنسا.
- 3- مثلت روح المقاومة الجزائرية من الاحتلال وطيلة القرن 19
- 4- تفتقر كلها لتنظيم والتنسيق.
- 5- تعتمد على الفلاحين والوطنيين الذين كانوا جيوش الطلائع للمرابط يكافحون من أجل الوطن والإسلام وأرضهم وشرفهم.
- 6- كانوا ضحية الخرافات والجهل والانقياد الأعمى للجمعيات الدينية وللمرابط خصوصا.